Adab Al-Rafidain

https://radab.mosuljournals.com

The Body is a Poetic Sign: A Reading in the Poetry of AlAraji (120 A.H.)

Omar Mahmood Al-Joubory

Lect. / Nineveh Education Directorate / Ministry of Education - Iraq

Article information

Article history:
Received August 14. 2022
Reviewer September 7. 2022
Accepted September 10. 2022
Available online June 1 .2023

Keywords:
the body
the self
the other
the woman

Correspondence:
Omar Mahmood Al-Joubory
omaralabd92@gmail.com

Abstract

The body is one of the thorny and complex topics in literature in general, and poetry in particular, as it raises through its presence, influence, and content; many questions and inquiries to the recipient who is trying to decode it and know the extent of its movement, emotion, and ecstasy. The movement of the body or any member of it represents a tool that helps us convey meaning to others. Because of his great and effective influence and his amazing ability to express what goes on in the souls of feelings and emotions honestly and spontaneously. From here, the body represents an emotional sign, through which we can understand the inner self. The shape of the body is a prominent phenomenon in Al-Araji's poetry, in which his creativity in describing his beloved as a sensual and bodily character appears in differently in significance and content, and in his language approaches many of the pre-Islamic poetic texts in its vocabulary and meanings. Through investigating Al-Araji's poetical works, we found , we found that the poet used self-expression in his works by mentioning some of his body members for expressing love, sadness, and anger. From another perspective, he referred to the either body wither man or woman intending a specific mention.

DOI: 10.33899/radab.2023.178498 ©Authors, 2023, College of Arts, University of Mosul.
This is an open access article under the CC BY 4.0 license (http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/).

الجسد دالا شعريا قراءة في شعر العرجي (120ه)

عمر محمود الجبوريّ*

المستخلص:

الجسد من المواضيع الشائكة والمتشعبة في الأدب بصورة عامة، والشعر بصورة خاصة، إذ يثير عبر حضوره و تأثيره و مضمونه تساؤلات كثيرة واستفهامات لدى المتلقي الذي يحاول فك شفرته ومعرفة مدى حركته وانفعاله ونشوته ، فحركة الجسد أو أي عضو فيه تمثل أداة تساعدنا في إيصال المعنى للآخرين لتأثيره الكبير والفعال وقدرته العجيبة للتعبير عمّا يدور في خلجات النفس من مشاعر وأحاسيس بصدق وعفوية. من هنا مثّل الجسد دالاً انفعالياً نستطيع بواسطته أن نفهم كوامن

* مدرس / مديرية تربية نينوى / وزارة التربية – العراق

النفس/الذات. شكل الجسد ظاهرة بارزة في شعر العرجي وإبداعه في وصف محبوبته وصفاً حسياً جسدياً يظهر بصورة متباينة في الدلالة والمضمون ويقترب في لغته كثيراً من النصوص الشعرية الجاهلية في مفرداته ومعانيه . وعبر البحث في ديوان العرجي وفي نصوصه الشعرية وجدنا الشاعر يتحدث عن ذاته فيذكر أجزاء من جسده للتعبير عن الحب أو الحزن والغضب ، ومن جهة أخرى يتحدث عن جسد الآخر سواء كان هذا الآخر امرأة أو رجلاً واضعاً لكل منهما غاية أو مقصداً خاصاً به.

الكلمات المفتاحية : الجسد، الذات، الآخر ، المرأة

إشكالية البحث :

تقوم هذه الدراسة على استحضار الجسد في شعر العرجي ، وما يمكن أن يقدمه الجسد من مدلولاتٍ شعريةٍ في نصوص الشاعر ، تكمن إشكالية البحث عبر التعامل مع نص شعري يقترب في مفرداته وصياغته اللغوية من الشعر الجاهلي ، والبحث عن دلالات الجسد في هذه النصوص، فضلا عن استنباط الكوامن الداخلية للذات الانسانية، إذ إن النصوص الشعرية في الأدب العربي القديم تحتاج إلى خصوصية في البحث والتحليل ، فضلاً عن حساسية الجسد في التعامل والتوظيف والدلالات التي يقصدها الشاعر.

تأتي أهمية البحث عبر الكشف عن تأثير الجسد في شعر العرجي ، فضلا عن أهميته في كشف وعي الشاعر في توظيف الجسد سواء كان جسد الشاعر أو جسد غيره لتأتي هذه الاعضاء الجسدية وسيلة تعبيرية تظهر من خلالها الميول والابعاد النفسية للشاعر .

المقدمة:

إنَّ الجسد من الموضوعات الشائكة والمتشعبة في الأدب بصورة عامة، والشعر بصورة خاصة، إذ يثير عبر حضوره و تأثيره و مضمونه تساؤلات كثيرة واستفهامات لدى المتلقي الذي يحاول فك شفرته ومعرفة مدى حركته وانفعاله ونشوته، فحركة الجسد أو أي عضو فيه تمثل أداة تساعدنا في إيصال المعنى للآخرين بسبب تأثيره الكبير والفعال وقدرته العجيبة للتعبير عن ما يدور في خلجات النفس من مشاعر وأحاسيس بصدق وعفوية. من هنا مثّل الجسد دالاً انفعالياً نستطيع بواسطته أن نفهم كوامن النفس/الذات.

جاء اختيار العنوان لسببين مهمين ، الأول : لما يشكله الجسد من أهمية كبيرة على الصعيد الأدبي والثقافي والنفسي ، فضلاً عن ارتباطه بالفنون الأدبية كافة من شعر ونثر ومدى تفاعله مع مضمون النص الادبي ، أما السبب الثاني : فيرتبط بالشاعر العرجي (عينة البحث) إذ شكل الجسد ظاهرة بارزة في شعره وإبداعه في وصف محبوبته وصفاً حسياً جسدياً يظهر بصورة متباينة في الدلالة والمضمون ويقترب في لغته كثيراً من النصوص الشعرية الجاهلية في مفرداته ومعانيه . وعبر البحث في ديوان العرجي وفي نصوصه الشعرية وجدنا الشاعر يتحدث عن ذاته فيذكر أجزاء من جسده للتعبير عن الحب أو الحزن والغضب ، ومن جهة أخرى يتحدث عن جسد الآخر سواء كان هذا الآخر امرأة أو رجلاً واضعاً لكل منهما غاية أو مقصدًا خاصًا به ، من هذا المنطلق جاء تقسيم البحث ليشتمل على مقدمة وتمهيد تحدثنا فيه عن الجسد لغة عبر الاعتماد على المعاجم العربية لتتبع المعنى اللغوي للجسد وللوقوف على جذوره اللغوية ومعرفة الفرق بين الجسم والجسد والبدن ، فضلاً عن المعنى الاصطلاحي للجسد وتعريفاته الاصطلاحية التي وضعها النقاد ، ومدى تفاعل المجتمعات القديمة مع قضية الجسد ، وتناولنا المعنى الاصطلاحي للجسد من وجهة نظر شعرية وما يمكن أنْ يقدمه عبر الإيماءات والإشارات والحركات التي يؤديها ، وانقسم البحث على قسمين تناولنا في القسم الأول ذات الشاعر للبحث عن الجسد فيه وطرحه لجسده والغاية التي وظف فيها هذا الجزء من الجسد دون غيره ، إذ إننا لا نبحث عن الجسد كعضو بل عن الغاية والمضمون والمعنى العميق لهذا التوظيف ، أما القسم الآخر فقد اختص بالآخر والبحث عن مفاصل التوظيف الجسدي فيه، ونالت المرأة الجزء الأكبر فيه عبر استحضار الشاعر لأغلب جسدها واصفاً إياها وصفاً حسياً عميقاً ، يعبّر من خلاله عن تأزمه العاطفي والنفسي تجاه المرأة، واختتم البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصل لها لبحث .

الجسد دالاً شعرياً

الجسد لغة :

لمفهوم الجسد في الفكر اللغوي العربي تعريفات عديدة مختلفة فيما بينها ،تنوعت بين لفظة الجسد والجسم ولفظة لبدن، منها ما جاء في لسان العرب الذي يجعل لكلمة الجسد مرادفاً " لجسم الإنسان ، ولا يقال لغير الإنسان جسد من خلق الأرض، والجسد البدن ، تقول منه : تجسد ، كما تقول من الجسم تجسم ، والجسد والجاسد والجسيد : الدم اليابس ، وقد جسد ، ومنه قيل للثوب : مجسد إذا صبغ بالزعفران، والمجسد : الأحمر"[1] ولا يخلو هذا التعريف من المبالغة قليلا ، إذ جعل من الجسد صفة خاصة بالإنسان فقط دون بقية الموجودات في الطبيعة ، هذا ما يؤكده المعجم الوسيط " جسد الدم جسداً ، يبس ، وبه لصق ، والجسد : الجسم ، والعظيم الجسم : البدين ،والجسم :الجسد ، وكل ما له طول وعرض وعمق ، وكل شخص يدرك من الإنسان والحيوانات والنبات"[2] ، فالجسد والبدن والجسم شيء واحد ، لأنَّ أغلب التعريفات تتفق على لفظة الجسد والبدن والجسم ، ف" الجسد هو الدم بعينه ، وثوب جسد : مصبوغ بحمرة أو صفرة" [3] أما ابن فارس فيقول "الجسد يدلّ على تجميع الشيء واشتداده، ومن ذلك جسد الإنسان" [4] ويقول الزبيديّ "الجَسَد: (الدَّمُ اليابِسُ) ، وفي البارع: لاَ يُقَال لغيْر الحَيوان العاقِل جَسَدٌ إلاّ للزَّعْفَرَان والدّم إذا يَبِس، (كالجَسَدِ)" . [5]

الجسد اصطلاحاً:

الجسد في الاصطلاح " لفظ يدل على وجه الخصوص على الإنسان بوصفه حيواناً عاقلاً، كما لا يقال إلاّ لجسم الإنسان جسد، ولا يقال لغيره من الأجسام، أما البدن فهو جزء من جسد الإنسان، والجثة هي الجسد بلا روح"[6] فالجسد هو مصدر كينونة الإنسان و " منبع الحياة والحركة والفعل والوعي ، وهو مكتسب قبلي سابق على كل روح وبوصفه معيارنا الأول في الوجود ، فهو يشكل مركز الكون ومقاسه الضروري " [7] للجسد أهمية كبيرة للإنسان ،إذ هو وسيلته للتعبير عن حاجته وعواطفه وانفعالاته ، على الرغم من ذلك فإن " بعضاً من الفكر العربي يحمل قدراً كبيراً من الإنكار له والإجحاف ، بل إنَّه مغيب في كثير من المواضع تغيباً كبيراً ، وكأنْ الإنسان غير معني بالجسد سواء بمعناه الميتافيزيقي ، أم بمعناه الجسداني بوصفه كتلة وامتلاء وليس فراغاً" [8] ، إذ إنَّ المجتمعات القديمة لم تكن تعترف بحق الفرد أو في تملكه للجسد ولحرية التصرف به ، لأنّ ذلك يهدد الجسد الجماعي وثقافته المجتمعية المتمركزة حول العائلة أو القبيلة [9] هذا التصور للجسد لم يبقَ على حاله بل أصبح " الجسد في ظل الوعي شيئاً محدداً بإطار ومساحات محددة ، بل إنه طاقة تعبيرية موحية وجد فيه الشعراء ضالتهم بوصفه رمزًا وثقافة ، وبوصفه مجتمعاً وأرضًا ، وبوصفه كونًا وعالمًا ، وبوصفه لغة ونصًا وإبداعًا . [10]

فضلًا عن ذلك فإن الجسد من وجهة نظر شعرية ، نجده أكثر تأثيرًا في العواطف والمشاعر الإنسانية، إذ إنَّ كل حركة أو جزء من الجسد له دلالته والحالة المزاجية التي يمر بها الشخص المعني، فالحركات وأعضاء الجسم تختلف في حالة الغضب عنها في حالة الفرح والبهجة ،إذ إنَّ الإنسان " في الأصل حضور جسدي في العالم فلا يعرف إلا به وغيابه يعني غياب الإنسان /الموت ، وكذا فإن وجوده يكمن في قدرته على التعبير ، ويتجلى في صور عدة منها الصامت الجسدي ، كالمظهر الصامت وتعابير الوجه ، والجسدي الحركي كحركات المناضل والممثل المسرحي والرياضي ، والجسدي الاجتماعي ، وأخيرا الجسدي الإخباري المتمثل بلغة الصم والعلاقات المتبادلة بين البحارة ، أي أنَّ كل جسد منطوق ينتج عنه فعل اجتماعي" [11] فالجسد لغة خاصة به تعتمد في وظيفتها على الإشارة والإيماء أو على الحركات الجسدية التي تعبر عن مقاصد ومعانٍ مفهومة للمتلقي [12]، فقد تناول العديد من الباحثين قضية التعابير الجسدية ؛ لأنّ الجسد " كائن قائم على متعالق كوني ، له خاصية تجسيد جمالي ذات

---

[1] () لسان العرب : ابن منظور ، دار صادر ، بيروت مادة: جسد ، 458/1.

[2] () المعجم الوسيط : : د. إبراهيم أنيس، د. عبد الحليم منتصر ، وآخرون ، دار الدعوة ، تركيا ، اسطنبول ، ط2، 1989، مادة جسد ، 122/1.

[3] () الاشتقاق ، ابن دريد ، تحقيق وشرح : عبد السلام هارون ،منشورات مكتبة المثنى ، بغداد ،العراق، الطبعة الثانية ،1979، مادة :جسد ، 342.

[4] ()معجم مقاييس اللغة، لابن فارس القزويني، تحقيق عبدالسلام هارون، دار الفكر، 1979م، ج1: 457.

[5] () تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق مصطفى حجازي، الكويت، 1989، باب (الدال): 499-500.

[6] () فكرة الجسد (من الموروث الحضاري إلى فلسفة نيتشه)، د. هجران عبدالاله أحمد، دار الفرقد- سورية، ط1، 2014م ،26.

[7] () الجسد والصورة والمقدس في الإسلام : فريد الزاهي ، افريقيا الشرق. بيروت ، 1999، 27 .

[8] () خطاب الجسد في شعر الحداثة :عبد الناصر هلال ، مركز الحضارة العربية ، القاهرة ، 2005، 10.

[9] () ينظر: الجسد الخاص وتشكيل الهوية : معجب الزهراني ، مجلة فصول ، القاهرة ،ع 64، 2004.

[10] ()خطاب الجسد في شعر الحداثة :مصدر سابق 13.

[11] () الجسد والصورة والمقدس في الإسلام : مصدر سابق 28.

[12] () ينظر : وصف الجسد في الشعر الجاهلي ، ناصر ظاهري ، دار الخليج ، الأردن ،ط2، 2017، 256.

معان دالة "[13] إذ إن الإنسان له مطلق الحرية في التمتع والسيطرة على أدائه الجسدي وعلى أفعاله الحركية فـ" الرمز الحركي للجسد بمختلف إشاراته الإيمائية هو دال كشفي عن مستور روحي أو نفسي أو عقلي ، لهذا وجب الاشتغال عن كشف الغائب من الجسد ، واستبيان الأنساق التعبيرية التي يتلفظها الجسد بلغة الحركة العضوية تحقيقا للمعرفة " [14] عبر الشعر و أغراضه من مدح وهجاء وغزل تتضح لنا أهمية الجسد أو الحركات الجسدية التي يقوم بها الإنسان ، إذ استخدم الشعراء الجسد أو أجزاء منه في دلالاتهم الشعرية للتعبير عن مضامينهم أو معانيهم عبر توشيح لغتهم على سبيل المجاز والحقيقية ، من هنا وجدنا الشاعر العرجي تناول الجسد في شعره فيتحدث عن ذاته عبر ذكر أجزاء لجسده في أغراض شتى ومعانٍ كثيرة ، وقد يتحدث عن جسد الآخر سواء كان هذا الآخر امرأة أو رجلاً ، لذا سنتناول الجسد في شعر العرجي ونتبع ذلك في محورين: الأول ذات الشاعر وتتبع مفاصل جسده وسبب اعتماده على هذا العضو دون الآخر ، أما المحور الثاني فهو الآخر وما ذكره من جسد لغيره والوظيفة التي قام بها الجسد سواء أكانت حقيقة أم مجازًا

أولا: ذات الشاعر

هو انشغال الشاعر بذكر جسده أو أجزاء محددة من جسده للتعبير عن غايته الشعرية دون الالتفات للآخرين ومن خلال بحثنا لمسار الجسد في نصوص الشاعر وجدنا أنَّه وظّف القلب في الكثير من نصوصه الشعرية، يقول الشاعر:[15]

أَصبحـــتْ دارُهـــا مسيرة شهرٍ ذاكَ للـــــــقلبِ فـتنةٌ وعـــناءُ

واستحبُّوا دوني البلاطَ فسلعاً فقُبـــاءَ ، وأيـــنَ مـــنِّي قُباءُ

ليتَ نُعماً دنتْ بها اليومَ دارٌ ليتَ شِـــعري أكـُـــلُّ هذا جفاءُ

فلقدْ قُلـــتُ إذ تـولتْ وصدتْ ذاك واللـهِ للـفـــؤادِ شـــقـــــاءُ

أنتِ يا نُعْمُ شقوةٌ عرضَتْ لي بئسَ حظاً من الكريمِ الشَّقاءُ

تشتغل الطاقة الجسدية بأقصى قدرتها داخل مفصل النص الشعري ،إذ للجسد قيمة جمالية فضلًا عن قدرته على نقل وإرسال شفرات وإشارات دلالية عميقة مع اعتماد الشاعر على أكثر أجزاء الجسد رقة وعذوبة وهو القلب والفؤاد مستخدمًا معهما قرينة – فتنة ، شقاء - لتدل على مدى الأثر الذي تركه بُعد محبوبته ، هذا الجزء من الجسد جاء للتعبير عن انفعالات نفسية وتأملات ذهنية مكثفة عملت على رفع وتيرة التأزم لتعبر وتقدم مضامين تدعم لغة النص نفسها. إنَّ لأجزاء الجسد لغة خاصة غير منطوقة ، يعبّر بها الإنسان عن حالة الغضب والفرح والحب ، إذ يرسل إشارة أو علامة لتلك الحالة الشعورية التي تنتابه ، فنجد الشاعر يتكئ على القلب للتعبير عن حالة الحزن والهم الذي يقاسيه، اذ يقول:[16]

الله يعـــلمُ مـــا أحـْـببتُ حـُـــــبكُمُ يا قُربَ ، من خَلْقِهِ عُجماً ولا عَرَبا

قدْ كنتُ أحسبُ وجدي يا قريبُ لكمْ حتى أتحْـــتِ لـنا بالخفيفِ قدْ ذهَبَا

لمَّا مددتُ بحَبلِ القلبِ نحوكُمُ خفَّ الفؤادُ لِمَا تهْوينَ فانْجَذَبا

واللهِ ما قَرُبتْ قُربى ولا نزحَتْ إلاّ استـــــخفَّ إليـها قلبُهُ طرَبَا

يصف الشاعر خلجات نفسه وصفًا دقيقًا يستحضر فيه القلب الذي هو المركز الخاص بالعاطفة ، إذ استعان الشاعر بالجسد – حبال القلب ، خف الفؤاد ، قلبه طربا – لوصف لوعة الحب والشوق الذي يعتريه جراء الهجر والبعد بينه وبين محبوبته ، هو لم يذكر سوى القلب لِما له من أثر كبير على شخصية الشاعر ،إذ تظهر لغته الشعرية التي تتصف بالرقة والتوسل والتذلل ، فالشاعر يرسم المشهد الشعري بحالة شعورية تبين للمتلقي انكسار القلب وخلخلة للمشاعر وهزيمتها .

---

[13]() كيف تقرأ لغة الآخرين من خلال إيماءاتهم ، ألن بيتر ، ترجمة : هني غازي ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، 1997، 5.

[14]() كيف تقرأ لغة الآخرين من خلال إيماءاتهم: مصدر سابق27 .

[15]() ديوان العرجي : جمع وتحقيق وشرح د. سجيع جميل الجبيلي ، دار صادر، بيروت ، ط1، 1998، 163.

[16]() ديوان العرجي :67.

يمثل الجسد خطابًا لغويًا معلنًا ، وكل جزء منه له ملامح وخصوصية خاصة به ، فضلًا عن دلالته الحقيقية أو المتخيلة في النص الشعري ، هذه الأجزاء الجسدية يُضمنها العرجي في نسق شعري يوحي بالكثير من المعاني كما جاء: [17]

يـــا لقومي لِطُـــولِ هذا العتابِ ولصـــــــــبْري علـــى الهَوى واجتِنابِي

من لـــــو انَّ الفـــؤادَ خُيرَ يوماً بيْـنهُ صَـــــــــــادياً وبـــينَ الشـــــرابِ

في سمُومٍ يَهِمُّ من حرِّها الثوبُ علـــــى جِـــــلدِ ربّـــــهِ بـــــــــــالتِهابِ

كان أهوى إلى الفؤادِ وأَشهَى مـــنْ جنَى النَّحل شِيبَ صوبَ السَّحابِ

نسجتْهُ صَـــباً ،وصَـــوبُ شَمالٍ ليـــس فيـــه قَذًى ، بـــروسِ اللِّصابِ

يلجأ العرجي إلى الشعر بوصفه حلًا أو متنفسًا له ، مستحضرا الجسد من قلب و جلد في محاولة لرصد صراعه ، وتغذية هواجسه بالعواطف الجياشة والألم والحسرة على بُعد حبيبته، فقد حاول الشاعر بطرائق شتى أن يقدم للمتلقي صورة كاملة للحالة النفسية التي يكابدها، إذ تحولت بدورها إلى مرض بحد ذاته ، كما ورد في النص تخيّرٌ للفؤاد بين العطش وبين الشرب ، تاركًا الجواب للمتلقي بما يثيره وبما يجعله يتفاعل مع النص والشاعر مُولِّدًا تأويلات كثيرة تتجاوز حدود النص .

علمًا أنَّ حضور الجسد في نصوص الشاعر لم يقتصر على غرض شعري دون غيره ولا على جزء محدد من الجسد ، فهو يرسم في مخيلته صورة كاملة وتفاصيل كثيرة لمجموعة من أعضاء الجسد، يقول الشاعر:[18]

تلك عِرسي تلومني في التصابي مل سمعـــــي ومـــا تَـــمل عتابي

أهـــجرت فـــــي الملام تزعمُ أني لاحَ شيبـــي وقـــد تولـــى شبابي

أن رأت روعة من الشيب صارت فـــــي قذالي مـــبينة كـــــالشهاب

تـــحت ليل بكـــــف قابـــس نـــار اعتشاها بعـــارض مـــــن سحاب

قلـــت : مهـــلا فقد علمت إبائي منك هذا وقـــد علـــــمت جوابي

ليس ناهي عـــن طلاب الغواني وخـــط شـــيب بد ودرس خـــضاب

وركـــوب إذا الجـــــــبان تطوى فرقا عنـــد عـــــــرسه في الثياب

أحمل الســـــيف فوق أقرح ورد ذي حـــجول كأنـــه سيـــد غـاب

أجشم الهول في الكعاب وقدما جشم الهول ذو الهوى في كعاب

إنَّ توظيف الشاعر للجسد لا يزال مرتبطًا بالمرأة ، فقد صرف الشاعر همته وتركيزه عليه، ليُظهر أثر الجوانب النفسية والروحية فيه، فالجسد في هذا النص تشكل عن طريق لغة الحوار مع المرأة التي أكثرت فيه الملامة والعتاب، فجاءت أعضاء الجسد للكشف عن دواخله اتجاه هذا الحديث الذي لا يخلو من الآفة النفسية ومن الخوف والقلق ، إذ من المتعارف عليه أنَّ الملامة من أكثر الآفات الكلامية التي تؤثر في نفسية الإنسان بل حتى في شخصيته ، من أول الاجزاء الجسدية التي تأثرت هي الأُذن فذكر الشاعر وظيفتها – السمع - ، إذ منح الاستماع فرصة للمرأة للتعبير عمّا يدور في نفسها من أحاسيس وشعور أنثوي، ثم ينتقل الحديث عن الشيب وما يرافقه من علامة كبر السن التي ظهرت على مؤخرة الرأس، وما ينتج عن ذلك من نفور وعدم تقبله لتلك الحقيقة ، وما يشعر به من ألم نفسي كبير، فضلا عن ذلك نجد اعتماد الشاعر في النص على جزء محدد من الجسد هو الرأس ، وبدأ بالسمع وانتقل للشيب ثم جانب الرأس –القذال- فرسم هذا المشهد قيمة جمالية ، إذ جاءت في النص

[17]() المصدر نفسه :181.
[18]() ديوان العرجي: 179.

أصوات وألوان وحركة ألتقطها الشاعر وجسدها على وفق صورة جمالية قيمة تحرك حواس المتلقي لتشتغل بأقصى طاقتها عبر صور تتناغم مع الدلالة الجسدية المتجلية في النص، ينتقل الشاعر من إيقاع الصمت الذي اكتفى فيه بالاستماع إلى الرد _ قلت مهلا_ ينتج عن الرد توتر صاخب وانفعال عبر الكلام والحديث مستحضرًا فيه آلة الحديث وهو الفم ، لتنطلق شحنات نفسية متناغمة مع الصوت والحركة والصمت المطبق الذي مارسه الشاعر.

_ ثانيا: الآخر

الآخر في مفهومه الأدبي العام كل ما هو خارج التكوين الذاتي للأديب ، الآخر هو " الغير سواء أكان الخصم الذي اصطدم مع الذات وتمرد عليها، أم كان صديقًا تعاطف معها وانجذب نحوها ، وبادلها حبًا بحب، فإنه في كلتا الحالتين لا يستطيع (الأنا) العيش بدون الآخر"[19] ، الذي يهمنا في هذا الموضع هو الآخر جسدًا ، وكيفية تناول الشعر له ، والدور الذي يؤديه الجسد لتكوين دلالات جديدة ومفاهيم متنوعة .

يرسم الشاعر بريشة فنان يجيد رصد أدق التفاصيل وأصغرها ، إذ يقف في الغزل عند أنوثة المرأة وجمالها وفتنتها ،معتمدًا على الجسد في تقديم صورة كاملة لها متناولًا أجزاء مختلفة من جسدها على وفق صياغة شعرية عالية ، إذ يقول في ذلك : [20]

هـــل يقْتُـــلُ الـــمرءَ رخيمٌ دلَّـــــــــهُ مُختضِبُ؟

رخْصٌ غضيضُ الطَّرفِ لا تُكشفُ عنهُ الحُجُبُ

كـــــــــالغصنِ أعلاه ورابٍ مـــا تـــــوراي النـُقُبُ

يـــديرُ عَينَـــــيْ جُـــــــؤذَرٍ يحـــنـــو عليه رَبرَبُ

جـــــــيدُ غـــــزالٍ جيدهُ والثغـــرُ منهُ أشنبُ

كـــــــأنما ريـقـتـــُــــــــهُ مسكٌ عليـــهِ ضَرَبُ

يفتتح الشاعر الوصف بأسلوب استفهامي يفاجأ به المتلقي ، مما يثير دهشته ، ويحرك غرائزه، إذ إنَّ الجسد أول ما يثير الانتباه ، السؤال عن المرأة ذات المنطق العذب المخضبة بالحناء في أصابعها، ويأتي وصفها بصورة حسية، هذه المقدمة هي مثيرات يقدمها الشاعر للمتلقي للتمكن من إمساك تلابيب عقله وجرّه إلى حيث يذهب به النص ، فضلًا عن ذلك نجد التنوع في دلالات وإشارات مضمون الجسد التي يعرضها بالتفصيل لتتفاعل مع الحدث، إذ إنَّ الشاعر حشد كل الجزيئات الجسدية الصغيرة لتعطي تفاصيل كثيرة ومعاني أكثر _ رخيم ، دله مختضب، غضيض الطرف، غصن رابي، عيني جؤذر، جيد غزال ، الثغر، ريقه_ كل هذه الأجزاء الجسدية جاءت لتحقق هدفًا معينًا لتلك المرأة التي أثارت فيه هذه العواطف والشجون ، ويمكن للمتلقي أنْ يتحسس مقدار هذا التأثر ، فالجسد الأنثوي في النص كشف لنا المزاج العقلي الآني للشاعر ومدى اهتمامه وإبراز القيمة الجمالية للجسد معتمدًا على البصر، أو العين ليشكل علاقة موازنة ومقابلة بين عين حبيبته ، وعين ولد البقر الوحشي الذي يتصف بالسعة والجمال ، ينتقل به الوصف الحسي الجسدي إلى ثغرها الأبيض وجيدها الذي هو جيد غزال يتصف بطول العنق والحسن والجمال.

يمتزج الجسد عند الشاعر مع الطبيعة ، إذ يأتي الغزل والوصف منسجمًا في جماليته مع الطبيعة من روضة مزهرة وأمطار وغيوم ، هذا الاستحضار للطبيعة جعلت الجسد لوحة تُقرأ من جميع الجهات ، إذ إن الجسد مفتوح الدلالة والمضمون يفهم حسب سياقه الذي يوضع فيه ، يقول العرجي : [21]

خرجـــتْ تأطرُ فـــي أوانِسَ كالدُّمى والمُزْنُ يبرقُ بالعشيّ ربابُهُ

يمشينَ مشـــــيَ العـــينِ في متأنقٍ من نبتهِ غردِ الضحاءِ ذبابُهُ

---

[19] () جدلية الذات والآخر في الشعر الأموي : فاضل احمد العقود ، دار غيداء للنشر والتوزيع ، ط1 ، 2012، 34.
[20] () ديوان العرجي :171-172.
[21] () ديون العرجي : 176- 177.

في زاهرٍ مـــــثل النـــــجومِ أَمالهُ ظلمٌ فتـــمَّ ولم يهـــجْ إعشابُهُ

فبدا ومـــا عـــمدت بـــــذاك تبرما جيدٌ يمُـــجُّ على الُّبَان سخابُهُ

مِســـكاً وجـــادي العبـــير فأشـــرقا حتى كـــأنَّ دمـــاً يقالُ أصـابه

تُدني علـــــى الليتينِ سحم واردا رجلاً يشـــفُ لـــناظرٍ جلبابُـهُ

وكأنَّ أحـــور مـــــن ظباء تبالةٍ يقرو الخمـــائل حين تـم شبابهُ

أهدى لعمـــرة مقلتـــيه إذ رمـت نحوي بـــــما لا يُستطاع ثوابـه

من طرها ، إنـــي رأيـــــتُ مُكثراً نما عليـــــها ، لا يريمُ، إهابه

وتبسمت لـــــــي عن أغر مؤشرٍ ظلـــم تحـــــيرَ بـــــاردٍ أنيابه

كغريض مـــــوهبةٍ ،أطاف بمائها طود تمـــــــنع أن تُنال لصَابُهُ

بيضاء تنسجها الصبا في مُشرفٍ حل القلوب الصادريات حجابه

فعلون أوطئة الخُدُورِ كمـــا عَلَتْ رُقْبُ المَهَا كُثَباً تَحِفُّ هضَابُهُ

استخدم الشاعر الجسد عبر الأداء الحركي والوصف التفصيلي للجسد جاعلًا منه لغة بصرية يمكن للمتلقي استحضارها ، هذه القصدية في الوصف الجسدي توحي بالكثير من المعاني والمشاعر التي تتضح وتتعمق في النص فتبدو محددة ، إذ إنَّ الأجزاء الجسدية المتعددة من جسد المرأة أضفت على النص العديد من الإيحاءات الغنية بالتعبير صاغها على شكل لوحة اكتملت فيها عناصر متعددة عملت على تشكل جسد المرأة بأكمله ، فضلا عن ذلك قرن الشاعر جمال المرأة وجسدها بالمطر والنجوم والبقر الوحشي ، بما يجعل جسدها نموذجًا مثاليًا وامتدادًا للكمال الطبيعي ، إذ هي تمشي وتتمايل ، عيناها وجيدها الرقيق الذي تركت القلادة عليه أثر ورائحة مسك ، فضلا عن توظيف الشاعر للون – أسحم ، أحور -مع الاستحضار الجسدي وما يمثله من إشارة جسدية ، وما يمارسه اللون من وظيفة تحيل إلى مضامين مباشرة تدلُّ على حسن وجمال المحبوبة ،لا يكتفي الشاعر عند هذا الحدّ إذ يعمد إلى وصف الفم وما يمكن أن يثيره هذا الجزء من الجسد فهو الأكثر أهمية في الوجه الإنساني ، هو مكمن البوح الإنساني فيه سحر المعنى وحلاوة المنطق ، وصف الشاعر الجزء المرئي من فم محبوبته وأعطى له قرينة البياض والعذوبة وحلاوة ريقها المتماهية مع استواء أسنانها التي ترسل إشارات وعلامات جسدية يستشعرها المتلقي بسهولة في النص.

إنَّ التوظيف الجسدي للشاعر في النصوص لم يكن مجرد ذكر جزء من الجسد أو هو حشو للأعضاء الجسدية لتبدو بلا قيمة فنية جمالية وشعرية ، وتأتي في كثير من النصوص الصفات أو الأفعال الحركية الجسدية منسجمة مع بعضها ، فيجمع الأجزاء الجسدية في نصّ واحد للدلالة على الحسن و مبالغة في الجمال والوصف، يقول الشاعر: [22]

تُقـــض إليـــــه حاجـــةٌ أو يقل هل لي مما بي من مخـرج

مـــــن حيكم بنتُم ولـــم ينصرمْ وجدُ فؤادِ الهائمِ المنضـجِ

فعاجـــتِ الدهماءُ بـــــي خيفةٌ أن تسمعَ القولَ ولم تُعنجِ

فما استطاعتْ غير أن أومأتْ نحوي بعينيْ شادنٍ أدعجِ

يأوي إلى أدماء مـــن حـــــبه تحنو عليـــه رائمٌ ، عوهـج

تريك وحفا فـوق جيدٍ لـــــــها مثل ركـام العنبِ المدمـج

[22] () ديوان العرجي : 190- 191.

كأنمـــا الحليُ عـــلى نـحـرها نجـومُ فجرٍ ساطع أبلـجِ

تحـــــــــوذُ بالبردِ لـها عَبرةً جادت بـــها العين ولـم تُفشجِ

مخافـــة الواشين أن يفطنوا لشأنـــها والكاشـــح المـــزعجِ

كأنـــها ريـــــــمٌ بذي مثـوبٍ أحـــورُ يقْرُو مُصَّعَ العوسجِ

كِناسُهُ الأرطى ،ومُصطافُهُ مع الغضا المُورس والعرفجِ

وانطلقـــت تهوي بها بغلةٌ فـــــــي بغـــــلاتٍ وُقُحٍ وُسَّـجِ

يحمِلنَ بيضـــــاً جُرُداً بُدَّناً مثـــل غمـــامِ البَرَدِ المُثـلجِ

قمت طويلاً بعدما أدبرُوا أنظرُ فِعـــلَ المُفحَـمِ المُرتَجِ

إنَّ نظرة سريعة لمقدمة النص – خيفة ، أومأت _ والتوظيف المباشر للعين جاء بدقة متناهية ، إذ جعل العين كالجسد الكامل لتحلَّ محل أعضاء الجسد الأخرى ، وتؤدي وظيفة إشارية بلاغية غير منطوقة ، يلتقطها الشاعر ويترجمها إلى المعنى الذي أرادت إيصاله المرأة- خوفًا من الواشين - ، إن تقديم الشاعر للعين لم يمنعه من الحديث عن بقية أعضاء الجسد الأخرى – جيدٍ ، شعر أسود ، نحر ، بيضًا جردا بدنًا – النساء البيض مكتنزات لحم- ، هذه الأوصاف الجسدية إنما هي معزز قولي ، ودلالي للشاعر في استحضار هذه المرأة ، إذ يبدو المتلقي في هذا النص كأنّه أمام صورة حية لتلك المرأة عبر التفاعل بكل الجوارح والانتقالات بين أعضاء الجسد ، هو ينتقل من عضو إلى آخر على وفق تنقلات جمالية حتى الوظيفة الشمية تطرق لها منها (الأرطى ، المورس ، الغضا) كلها نباتات لها رائحة وأشكال مختلفة ليكون البيت كناية عن عطر الحبيبة ، فهو مزج بين حاسة النظر والذوق والشم ، ولم ينسَ أدق التفاصيل الجسدية التي تحمل في كثير منها معاني خاصة بها ، أطلقها الشاعر وأراد من المتلقي أنْ يقف على تفاصيلها الدقيقة ، فصورة المرأة عنده لا تكتمل إلا أنْ تكون بتلك الصفات الجسدية الحسنة.

يتغلب الجانب الحسي على الجانب المعنوي في أغلب أبيات الشاعر ، إذ يقف في وصفه لمحبوبته على كل جزء من أجزاء جسدها، كما جاء:[23]

إذا وُدُّها صافٍ ورُؤيتُها أمنـــيةٌ وكلامُـــــها غُـــنْمُ

هيفاءُ مملوءٌ مُـخلْـخلُها عجزاءُ لـيسَ لعَظْمها حَجمُ

خُمصانةٌ قَلِقٌ مُوَشحُها رَودُ الشبـــابِ عِلابُها عَظمُ

وكـــــأنَّ غاليةً تُباشرُها تحت الثِّياب إذا صفا النَّجمُ

في هذه الأبيات نجد أنّ الوصف الجسدي فيها يمتاز بروحه الجاهلية ولغته وتصويره للمرأة ، جاعلاً منها مثالاً للجمال الجاهلي والأوصاف التي يعشقها الرجال في ذلك الزمن ، إذ إنها ضخمة الفخذين ، ممتلئة الساقين ، دقيقة الخصر ، ضخمة الورك ، ضامرة البطن ، دقيقة عظم العنق، زكية الرائحة طيبة الأنفاس ، هذه الأجزاء من الجسد هي البؤرة التي يسقط عليها النظر للوهلة الأولى ، وتعطي المعنى لذلك الجسد ، فضلًا عن ذلك فإن الوصف الحسي يشدُّ المتلقي ، ويحرك مشاعره وعواطفه ، وتثير فيه النشوة والرغبة ، هي علامة جسدية مثيرة صاغها الشاعر بدقة متناهية مسلطًا كاميرته اللغوية على حركتها وجسدها ، بل حتى أنفاسها ، لتشتغل الحواس لدينا بكافة وظائفها في محاولة لرسم صورة حية نابضة لتلك المرأة.

فضلا عن ذلك نجد أنَّ بعض أعضاء الجسد تتكرر في أكثر من قصيدة ، إذ يتبين اهتمام الشاعر بها ، وهي الساق الممتلئة السمينة. لقد كان الشاعر حريصًا على أن يبرز هذه السمة والخصيصة في محبوبته: [24]

[23]() الديوان :318- 319.

ممكورةُ الساقينِ رُعبُوبةٌ كالغصنِ قَدْ مالَ ولمْ يُخْضدِ

يأتي في النص توظيف للجسد واقتناص الشاعر للساق ليرسمها ممتلئة سمينة بيضاء، على وفق صورة حسية بحتة يبرزها البعد الجمالي للجسد على وفق منظور قِبَلي يثير الدهشة .

ويأتي توظيف الساق في موضع آخر: [25]

مثل النّعاجِ يمِسنَ في قصبٍ ودمالجٍ وخلاخِلٍ خُرسِ

في هذا النص جاء الخلخال ليدل عل امتلاء واكتناز معصم وساق حبيبته وجعله أخرسَ فلا تسمع له صوتًا عندما تتمايل وتمشي وتتحرك .

تأتي صفة الخرس للحجل في موضع آخر أيضا دلالة على السمنة والامتلاء: [26]

خَروسٍ حِجلُهُ ويجوُلُ منهُ وشاحاهُ على كَشحٍ هضِيمِ

قدم الشاعر الصورة الغزلية الجسدية في النص بالاعتماد على الساق الممتلئة ، والخصر الدقيق في تقديم صورة جميلة للجسد المتناسق لحبيبته ، هذه الأوصاف الحسية غلبت على أكثر أبياته الشعرية التي كانت في مجملها إبراز الجمال والحسن لحبيبته في النص.

الخاتمة :

توصل البحث إلى جملة من النتائج هي :

- للجسد أهمية كبيرة في الحياة والفكر الإنساني بشكل عام ، لكنها كانت قاصرة بعض الشيء في التفكير العربي القديم ، إذ كانت تعدُّ الجسد من المحرمات .
- انقسمت التعريفات اللغوية والاصطلاحية في اتجاهات مختلفة حول التسمية لكنها في النهاية اتفقت على أنَّ الجسد هو الجسم الإنساني بالكامل.
- ارتبط الجسد عند العرجي بالغزل ، إذ ارتبط الحديث فيه عن جسد المرأة ووصفها وجمالها وحسنها .
- تحسب للشاعر براعته في رصد تفاصيل الجسد ودلالاته المختلفة ، وقدرته على إيصال المعنى المقصود عبر استحضار الجسد .
- الجسد عند العرجي عبارة عن أعضاء تستطيع التفاعل مع السياق الذي وضعت فيه ، لينتج هذا التفاعل مضامين تعبيرية ودلالية جديدة .
- بدا الجسد واضحًا بصورة جلية في نصوص العرجي الشعرية سواء كان أعضاء جسده أو جسد الآخر، إذ شمل ذلك أغلب أعضاء الجسد وتفاصيله الدقيقة .
- أخذت المرأة النصيب الأكبر من الجسد لأنها أشد المثيرات وتحسب له قدرته العجيبة في إبراز مكنونات الجسد العاطفية والنفسية ، فكان يصف ويشكو ويتألم ويعبر عن عواطفه وشجونه وقضاياه.
- تناول الشاعر أغلب أعضاء الجسد من عين وقلب ورأس وساق ويدين بل تعدى ذلك إلى الوصف الحسي لكثير من الأعضاء الجسدية التي تحرك الغرائز، وتثير الشهوة.

المصادر والمراجع:

---

[24] () المصدر نفسه : 214.
[25] () الديوان : 250.
[26] () المصدر نفسه :325.

1. Abdel Nasser Helal ,The Body in the Poetry of Modernity, Center of Arab Civilization, Cairo, 2005.
2. Al Zahrani , Mojeb ,The Special Body and the Formation of Identity, Fosool Magazine, Cairo, p. 64, 2004.
3. Alan Peter, How to Read the Language of Others Through Their Gestures, translated by: Hani Ghazi, Arab Science House, Beirut, 1997.
4. Al-Jubaili , Dr. Sajia Jamil, Diwan Al-Araji, Collection, Investigation and Explanation of, Dar Sader, Beirut, 1st Edition, 1998.
5. Al-Qazwini, Ibn Faris ,Dictionary of Language Standards, edited by Abdul Salam Haroun, Dar Al-Fikr, 1979.
6. Al-Zubaidi, Muhammad Murtada ,The Crown of the Bride from the Jewels of the Dictionary, edited by Mustafa Hijazi , Kuwait, 1989, chapter (Dal).
7. Fadel Ahmed,The dialectic of the self and the other in Umayyad poetry, Dar Ghaida for Publishing and Distribution, 1st edition, 2012.
8. Farid Ezzahi,The Body - the Image and the Sacred in Islam, East Africa, Beirut, 1999.
9. Hajran Abdel Ahmed,The idea of the body(from the cultural heritage to the philosophy of Nietzsche), Dar Al-Farqad, Syria, 1st Edition, 2014 AD .
10. Ibn Duraid ,Derivation, investigation and explanation: Abdul Salam Haroun, Muthanna Library Publications, Baghdad, Iraq, second edition, 1979, material, body.
11. Ibn Manzur,Lisaan al-'Arab, Dar Sader, Beirut, article: body.
12. Nasser Zaheri, Description of the Body in Pre-Islamic Poetry, Dar AlKhaleej, Jordan, 2nd Edition, 2017..
13. Ibrahim Anis, Abdel Halim Montaser, Intermediate Dictionary, Dar Al-Da'wa, Turkey, Istanbul, 2nd Edition, 1989, Body Material.